

البكاءون والزاهدون

ماذا نقولك لربك غداً

عبدالرحمن بكر

كتاب السؤاضة

دار الروضة

للتنوير والنويز

٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
سوق الكتاب الجديد - الأزبكية

ص.ب: ٢٢٢٧ رمز بريدي: ١١٥١١

تليفون: ٥٩١٣٤٢٤ - ٥٠٦٦٨٨٤
فاكس: ٥٩٢٧٣٦٤

موبايل: ٠١٢٣٦٠٨٩٩٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة

DAR EL-RAWDAH.
2DARB EL-ATRAK. EL-AZHAR

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٨٢٠٥

I.S.B.N. الترقيم الدولي

977 - 5481 - 52 - x

ماذا تقول لربك غدا

الحمد لله لا إله سواه فاضت نعمه علينا وتمام النعمة أن يرحمنا يوم نلقاه باكين متضرعين نحمل ذنوبنا وأوزارنا ثقيلة تحني ظهورنا ونحن سائرين في بحور الندم وقد تساقط لحم وجوهنا خجلا من كثرة ما عصيناه.

والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ الذي أرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الحق وسراجا منيرا فآتم رسالته وأكمل دعوته حتى وصل إلينا دين الله صافيا نقيا كما أنزل عليه لا تحريف فيه ولا تبديل.

أما بعد وقد وصلتنا رسالة الحق كاملة فتغلغلت في القلوب وملكتها زمانا حتى أتت علينا الدنيا بمفاتنها.. فغرنا غرورها وأضعفت عزائمنا.. ولكن هيهات فقد اقترب الأجل وانحنى الظهر وشاب الشعر وصرخ النذير .

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (سورة الحديد: آية ١٦).

فما بقي أمامنا إلا أن نرفع أيدينا مستجيرين لاجئين إلى ربنا حيث لا ملجأ من الله إلا إليه..! ونصرخ كما صرخ الفاروق عمر بن الخطاب قبلنا قائلين لأنفسنا ..” ماذا تقول لربك غدا “

عبد الرحمن بكر

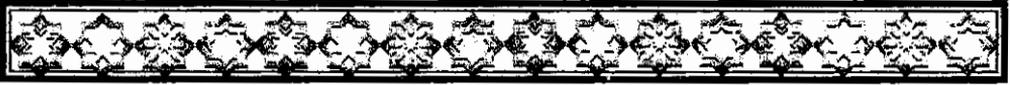
ob
e
i
k
a
n
d
i
.
c
o
m

الخشية لله

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يأيتها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم *
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج ٢،١)
يا لها من آيات تزلزل القلوب، فكم نرف الصحابة والسلف الصالح من دموع
عندما سمعوها وكم ارتجفت أجسادهم رهبة وخشية من لقاء الله عز وجل وكم طمعوا في
رحمته ورضاه ورغم أنهم كانوا هم العباد الزهاد، فقد أدركوا أن أعمالهم مهما كثرت
وتضاعفت فلا نجاه إلا برحمة من الله.

فماذا نفعل نحن وقد شغلتنا الدنيا..؟

أفلا نقف مع أنفسنا وقفة، ونعقد مع أعمارنا صفقة، هناك بعيدا عن قطار الحياة
السريع الذي يمر بلا توقف ولا يخرج منه المرء إلا صريع، ونتأمل ما فيه من آمال
وأحلام وخداع وأوهام، لكي نتفكر وننظر إلى أعمالنا، وما نحن قادمون إليه من اقتراب
آجالنا، فإلى أين المصير..؟ وقد تركنا خلفنا جبال الذنوب تتكاثر وترتفع، ورغم النذر لم
نرتدع حتى كادت أن تقضي علينا خطايانا، وها هو الزمان يمر بنا ويتساقط من حولنا
الأصدقاء ونفقد كل يوم خلا من الأخلاء، وتمتلئ القبور بأهلها، ولسان حالنا يقول: هذا
كان معي بالأمس وذاك كان رفيق طريقي وهذا بنينا أحلامنا معا ورسمنا خطواتنا معا..
والآن تساقط الرفقاء وألقى جواد الدنيا الجامح فرسانه من فوق ظهره وتساقطت
أحلامهم ولم يبقى سوى حسابهم، وهاهو كل يوم نعش يسير أمامنا، تلاحقه دموعنا



وبعد لحظات، تنتهي الفرص وتختفي الأوقات، ونفיק من الأحلام أمام حقيقة الموت وحياة الأموات، ورعب القبر وشبح الحساب، ونعيم الجنة وألم العذاب، ونرى أنفسنا فيمن سبقونا فنبكي أنفسنا قبلهم، وهاهم أمام حساب طويل، كل يفضي إلى ما قدم وقبضة القبر تنسي نعيم الدنيا، وتوقظ الغفلان إلى ما وقع فيه من بحر الندم..

﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ (الزمر آية ٤٧)

فحذار فما أصعبها من آيات تبديد عروش الظالمين، وتزل الفاجرين، وتجعل أحلامهم هباء منثورا، يظن الإنسان أن عمله مقبول عند الله، وعنده سيلقى ما يتمناه، وأنه من أهل الخير والصلاح ثم يأتي يوم القيامة وهو لا يدري أن عمله غير مقبول عند رب العرش العظيم، وأنه مردود عليه لأنه بلا إخلاص فيجد تلك الآية الرهيبة تزلزل كيانه.. وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأى راحة وأى هناء يمكن أن يعيش فيه الإنسان بعد أن يقرأ هذه الآيات.

وها هو عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما كان على فراش الموت يلتقط أنفاسه الأخيرة دمعت عيناه وانطلق لسانه يقول: "اللهم أمرتنا فعصينا.. ونهيتنا فما انتهينا.. ولا يسعنا إلا عفوك يا أرحم الراحمين".

ثم وضع يده على موضع الغول من عنقه، ورفع طرفه مرة أخرى إلى السماء وقال:

اللهم.. لا قوى فأنتصر.. ولا برئ فاعتذر.. وما أنا بمستكبر.. وإنما مستغفر..
فاغفر لي يا غفار.. فاغفر لي يا غفار..





النفس تبكى على الدنيا وقد علمت
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
لا تركزن إلى الدنيا وما فيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها
قصورها ذهب والمسك طينتها
أن السلامة فيها ترك ما فيها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
وإن بناها بشر خاب بانيها
فالموت لا شك مفنينا ويفنيها
والجار أحمد والرحمن ناشيها
والزعفران حشيش نابت فيها

فكيف ننسى الموت وهو يطلبنا كل يوم والقبر ينتظرنا كمن أراد أن يفطر بعد صوم، يشتاق للقاء من أطاع ومن عصى، فقبضة القبر تنسى النعيم .. وليت هذا وكفى، ولكن كل هذا لا يساوي لقاء رب الملك والملكوت، الحي الذي لا يموت، الذي خلقنا وسوانا وإذا أماتنا أحيانا، فهو الغفور الودود الكريم المقصود الملك المعبود القديم الوجود العميم الجود المتعالى عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود الحى العليم السميع البصير الذى لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء فوق الصخرة الصماء فى الليالى الظلماء ويسمع حس الدود فى خلال العود ويرى جريان الماء فى باطن الجلمود وتردد الأنفاس فى الهبوط والصعود بمشيئته تصاريف الأقدار العالم بجميع الأسرار.
فنسأل الله العفو والعافية، والتوفيق فيما بقى من الأيام الخالية وأن يهدينا لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.



القلب الخاشع

فإن الليالي والأيام تمر سراعاً لكي تنهي الآجال..! ومآل المقيم في الدنيا إلى الزوال
وأخر الصحة يؤول للاعتلال..؟ وقوافل أعمارنا قاربت الارتحال وعن دار العمل سيكون
الانتقال، وما نحن نرى القبور بغيرنا تضرب لنا الأمثال..؟
فيا متعلقاً بزخرف يزول بقائه كلمح البروق ومضيعة واجبات عليك وأيضاً حقوق،
تعصى الخلاق وتستحي من المخلوق..! غدا سترى أثر ذاك الفسوق فعنقك أبداً بسجن
الردى مرهون ومخنوق، فابك على نفسك فإنك بالبكاء محقوق، فعجباً لمن رأى فعل
الموت بصحبه، وأيقن أنه سيقضى يوماً نحبه، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه، ونام
غافلاً على جنبه، ونسى جزائه على جرمه وذنبه، فيا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير
خاشع وقد نشبت فيه مخالب المطامع.

فيا من شبيهه قد أتى.. هل ترى ما مضى من العمر راجع..؟
فاحذر من الدنيا وانرف على الذنب المدامع.. فإن الحساب شديد والطريق طويل
شاسع.. لا ينجو فيه إلا من له عمل نافع..

﴿إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع﴾ (الطور الآيات ٧، ٨)

وبعد.. أما آن يا أخي المسلم أن تخشع قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق وقد علمنا
أن الحياة بغير الله سراب..

﴿ يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جأه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب﴾ (النور الآية ٣٩).

فلنغتنم ما بقي من حياتنا، ولنظهر قلوبنا، قبل أن نلقى ربنا فإن القلب أسرع
تقلبا من القدر عند غليانه..! ولنحذر من نفوسنا

﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور
رحيم﴾ (سورة يوسف آية ٥٣)

ولندرك أن قولنا لشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) ليس مجرد كلمة نقولها لننجو
لكنها منهج حياة كامل، ملك قلوبنا فأصبح شغلنا الشاغل، نؤمن به ونعمل بكل ما أمرنا
فيه ولنندم على ما فات منا ولنعتزف أمام الله بذنوبنا وكما قال الشاعر:

إلهي لا تعذبني فإنني مقرب بالذي قد كان مني
ومالي حيلة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظني
يظن الناس بي خيرا وإنني لشر الخلق إن لم تعف عني
وقد سئل أحد الصالحين عن توبته فقال:

فكرت يوما في ذنوبي، وفي تقصيري، وفي ميعادي، فرأيت عمري ينقص
وذنوبي تزيد، ومعيادي يقرب، ونفسي على التوبة لا تقبل، فرأيت بلاء لا تحمله
الجبال، فخرجت من بيتي، مفكرا في سوء حالي، فمررت بطبيب وعليه جمع من
الناس، يرفعون إليه القوارير، ويطلبون منه الوصفات، فوقفت معهم.. وقلت: يا شيخ،
هل عندك دواء الذنوب..؟ فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال: لو علم العاص من يعصى
لذاب قبل المعصية، فعدت إلى منزلي وقد أثر كلامه في قلبي، فلزمت باب مولاي
إلى الآن.

وقد قال عمر بن الخطاب لعلي بن أبو طالب رضي الله عنهما:

عظني يا أبا الحسن..!

قال: لا تجعل يقينك شكاً.. ولا علمك جهلاً.. ولا ظنك حقاً.. واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت.. وقسمت فسويت.. ولبست فأبليت.

قال: صدقت يا أبا الحسن..

وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد فارق نعيم الدنيا وزهد فيها، ويروى أنه دخل يوماً على أبيه فقال له: يا أمير المؤمنين ماذا تقول لربك إذا أتيتك وقد تركت حقاً لم تحيه وباطلاً لم تمته..؟

فقال عمر بن عبد العزيز: أقعد يا بني إن آباءك وأجدادك خدعوا الناس عن الحق فانتهت الأمور إلى، وقد أقبل شرها وأدبر خيرها، ولكن أليس حسبى جميلاً أن لا تطلع الشمس على في يوم إلا أحبيبت فيه حق وأمت فيه باطلاً حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك..

وهكذا كان الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لا يدع فرصة ليحاسب نفسه إلا ويحاسبها ولا يرى أحداً من التابعين إلا يطلب منه الموعدة وقد رأى يوماً "أبي حازم" وهو آخر من عاش من التابعين فقال له: عظني..

فقال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك.. ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة.. فخذ به الآن.. وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة.. فدعه الآن.

وها هو قد قدم عليه "أبي حازم" يوماً بعد أن ولى الخلافة فلم يعرفه، فقال له عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ادن مني.. فدنا منه وقال له: أنت أمير المؤمنين..؟ فقال

عمر: نعم.. فقال أبو حازم: ألم تكن عندنا فى المدينة أميرا على المسلمين..؟ فكان
مركبك وطيا، وثوبك نقيا، ووجهك بهيا، وطعامك شهيا، وقصرك مشيدا، وخدمك
كثيرا، فما الذى غيرك وأنت أمير المؤمنين..؟!

فبكى عمر ثم قال: يا أبا حازم.. كيف لو رأيتنى بعد ثلاث فى قبرى، وقد سألت
حدقتاى على وجنتى، ثم جف لسانى، وانشق بطنى، وجرت الديدان فى بدنى، لكنت
أشد إنكارا منك يومك هذا، أعد على الحديث الذى حدثتني به فى المدينة، فقال أبى
حازم: يا أمير المؤمنين.. سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن بين أيديكم عقبة كؤودا مخرسة لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول"، فبكى بكاء
طويلا حتى علا نحيبه.

وهكذا كان تعلقهم بالله وبما عنده من رحمة وفضل، وكان خوفهم منه عظيم لكن
الخوف من الله يجعل المؤمن قويا على نفسه ويجعله يستصغر ما دون خالقه، وهكذا
كان الصالحون.

وقد روى أنه عندما حج الخليفة المهدي دخل إلى مسجد الرسول ﷺ فانتفض
الناس وقاموا له ولم يبق أحد لم يقم إلا ابن أبي ذئب وكان من كبار الزاهدين فقال له
قائد الحرس: قم.. هذا أمير المؤمنين..!

فقال ابن أبي ذئب: إنما يقوم الناس لرب العالمين..!

فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة فى رأسى..!!

وقد قال ذو النون المصري: بينما أنا أطوف بالبيت إذ رأيت شابا عليه جبة من صوف وهو يتبختر ويقول: إلهى هذه خطوة من افتخر بغيرك وتعزز بسواك فكيف يكون خطوة من ليس له محبوب سواك.. فقلت له: حبيبي ما الخبر؟ فقال لى: يا عم.. انظر إلى ذلك الشاب يتبختر عجباً لأنه عبداً لأمير مكة..

قال ذو النون: فتقدمت فإذا بشاب يسحب إزاره على الأرض عجباً - فخراً - فقلت له: يا فتى.. أنت تتبختر لأنك عبد أمير مكة وهذا الفقير خلفك وهو عبد ملك السماوات والأرض.. تأخر حتى يتقدم فهو أحق بالتبختر منك.. فرأيت الشاب قد تأخر وتغير لونه وقال للفقير تقدم، فأنت والله أحق منى طوبى لمن كان مثلك، ثم قضى طوافه ومضى منكس الرأس، وقد عملت - أثرت - فيه الكلمات، فرجع إلى سيده فاشترى منه نفسه وتصدق بكل ما يملك، ولبس جبة صوف وأقبل إلى البيت فى اليوم الثالث فلقينى، فقال لى: يا شيخ أترى الله يقبلنى بعد تلك الذنوب العظام، فقلت له أبشر يا حبيبي.. فأنت حبيب الله، أما علمت أنه يدعوا المدبرين عنه، فكيف بالمقبلين، فاخلص النية فإنه يقبلك على ما كان منك..

فقال: يا عم.. طيبت قلبى بعد أن كاد يتصدع فجزاك الله من واعظ خيراً.. ثم مضى، فلما كان فى اليوم السابع أتانى إنسان وقال لى: يا شيخ عظم الله أجرك فى الشاب التائب فإنه قد مات فقلت له: ألا ترنيه، فأتى بى فوجدته مسجى ووجهه كدائرة القمر، فسألت عن حاله، فقيل لى أنه قد دخل فى هذا المكان وغسل يده إلى عنقه ولزم المحراب يبكى على نفسه، فلما كان اليوم وجدناه ميتاً.



قال ذو النون: فشهدت جنازته فلم يبق من مكة إلا قليل حتى حضروا جنازته..
فرأيته في تلك الليلة في المنام وهو يتبختر وهو يقول: شتان ما بين الخطوتين، فقلت:
حبيبي ما فعل بك، فقرأ: إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
وقال ذو النون: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك
قرار وتضيق عليك نفسك.

وكما قال داود الطائي وهو يوصي صديقه:

ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصي إلى عز التقوى.. إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا
عشيرة، وآنسه بلا بشر. ثم قال: ويحك صم الدنيا واجعل الفطر موتك واجتنب الناس
غير تارك لجماعتهم، وارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين، فمن خاف الوعيد قصر
عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا أخي أن كل ما
يشغلك عن ربك فهو مشئوم، واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون ويندمون
على ما يخلفون، وأهل الدنيا يتقاتلون ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون.
وقيل له يوما: يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا بالقليل: فقال:

أفلا أدلك على من رضي بأقل من ذلك..؟!

من رضي بالدنيا كلها عوضا عن الآخرة.

فيا من يرحل في كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، ما ينتفع
بالنذير وقد كثرت النذر، وتوالت عليه ضربات القدر، فأين من حصن الحصون المشيدة
واحترس، وعمر الحداثق فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وظن في
نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس، وأزعجه هادم اللذات، وجاءه بحقيقة المات،



فأنزله عن الفرس، وحمله إلى دار البلاء فانطمس، وتركه في ظلمة الظلمات ليلقى عقاب رب السماوات.

فكن أخي كيف شئت..! فبين يديك الحساب والزلزلة.. ولا بد من قبر يوما ستنزله، وجلدك الناعم لا بد للديدان أن تأكله..، فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة، ينام الليالي وينسى ربا سيسأله.

فكم أخرج الموت نفسا من دارها.. تبكيها عيون غدا ستلحق بها، وما ربك عنها بغافل، ومهما طال الزمان ستحملها المحافل. وإلى القبر غدا.. كلنا نازل، فماذا نقول لرب المنايا..؟ وبين يدينا جبال الخطايا، وأى دموع ستذرف عيون الندم، وقد صرنا بين ثرانا عدم، وها هو الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد دخل عليه البعض في مرضه الذي مات فيه فقالوا له:

كيف أصبحت يا إمام..؟

فقال: أصبحت من الدنيا، راحلا، ولإخواني مفارقا، ولكأس المنية شاربا، ولسوء أعمالى ملاقيا، وعلى الله تعالى واردا، فلا أدرى روعي تصير إلى الجنة فأهنئها، أو إلى النار فأعزيها..؟

ثم بكى وقال:

جعلت الرجا مني لعفوك سلما
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
تجود وتعفو منة وتكرما

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي
تعاضم نبي فلمما قرنته
ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل

وكان أبو الحسن المزين يقول:

(الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة)

وكان أبو عبد الله البرائي يقول:

(كرمك أطمعنا سيدي في عفوك، وجودك أطمعنا في فضلك، وذنوبنا قد تؤيسنا من ذلك وتأبى قلوبنا لمعرفة بك أن تقطع رجاءها منك، فتفضل أيها الكريم وجد بعفوك يا رحيم).

وقال: حملتنا المطامع على أسوأ المصانع، نذل لمن لا يقدر لنا على ضرر ولا على نفع، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا، فكيف أزعم أنني أعرف ربي حق معرفته وأنا أصنع ذلك..؟ هيهات هيهات.

فما أعجب هؤلاء الذين تعلقت قلوبهم الطاهرة، بلقاء الله وبالحياة الآخرة، فما عاد لباهج الدنيا عندهم نصيب، .. وخافوا يوما يكون المقام فيه بين يدي ربهم يوم العرض الأكبر ونهو أنفسهم عن الهوى وردوها عن غيرها، وابتعدوا عنها غرورها وطمعوا بأن تكون الجنة هي المأوى، لذلك فقد حاسبوا أنفسهم ولبسوا لباس التقوى، وعدادوا نعم الله عليهم فما استطاعوا، وذكروا جنائيات أنفسهم وذنوبهم فزلزلوا، وشعروا بالخوف من الله ولكنهم تعلقوا بحبال الرجاء فما أوسع رحمته.

فالخوف والرجاء كالحرارة والبرودة يداوى أحدهما بالآخر "خوفا وطمعا" .. "فيا إلهي سلطانك لا ملجأ منك إلا إليك.. إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها..! وإذا ذكرت رحمتك ارتدت لي روعي سبحانك إني أتيت أطباء عبادك ليداووني فكلهم دلوني عليك، فبئس للقائين من رحمتك..

وماذا نكون نحن وقد مضى ركب الصالحين وانقضى زمن المتقين..؟ فخير الزمان
زمان رسول الله ﷺ، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه..، وها نحن في آخر الزمان فلننظر
إلى السابقين من العباد والزهاد.. فهذا هو "وهيب بن الورد" شيخ العباد في زمانه، كان
إذا فرغ من صلاته خر ساجداً ثم قال:

سبحان الذي لبس العز وقال به، سبحان الذي تعطف بالمجد، وتكرم به سبحان
الذي أحصى كل شيء بعلمه، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي المن
والفضل، سبحان ذي العز والتكرم، سبحان ذي الطول، أسألك بمعاهد عزك من عرشك،
وبمنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدك الأعلى وبكلماتك التامات التي لا
يجاوزهن بر ولا فاجر، أن تصلي على محمد وآل محمد.

وكان يقول في مجلسه: (عجباً للعالم كيف تُجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك،
وقد علم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات) ثم يُغشى عليه.

فها نحن أصبحنا في هذا الزمان نتفاخر بما لدينا من علم وقد غطانا الجهل أما
هؤلاء العلماء المتقين فقد تمزقت قلوبهم من ثقل الأمانة.. وأدركوا أنها عرضت قبلهم
على السماوات والأرض.. فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان. فأى ثقل أكثر منها.. وقد
ناعت بحملها الجبال والأرض والسماوات.

فها هو "أبو جعفر المحولي" يقول:

(حرامٌ على قلب محب للدنيا أن يسكنه الورع الخفي، وحرام على نفس عليها
رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه
المتقون إماماً.

فيا إلهي أنت السميع لكل داعي يدعوك في وسط الليالي المظلمة، وإن غفل الكون

عنه فأنت ربي تعلمه، خشعت قلوب الخاشعين لفيض عفوك يا كريم:

يا من يجب العبد قبل سؤاله
وإذا أتاه المطالبون لعفوه
يا رب إن عظمت ذنوبى كثيرة
إن كان لا يرجوك إلا محسن
أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً
مالي إليك وسيلة إلا الرضا
أنت الذى تهب الكثير
وتقول هل من تائب مستغفر
الشمس والبدر من أنوار حكمته
الطير سبحة والوحش مجده
والنمل تحت الصخور الصم قدسه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم
يا من يحار الفهم فى قدرتك
تخفى على الناس سنا طاعتك
سبحان من أحيا قلوب عباده
فالعار فون مشاهدون لفضله

ويجود للعاصين بالغفران
ستر القبيح وجاد بالإحسان
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
فبمن يلون ويستجير الأثم
فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
وعظيم عفوك ثم إنى مسلم
وتجبر القلب الكسير وتغفر الزلات
أو سائل ألقى له الحاجات
والبر والبحر فيض من عطياه
والموج كبره والحوث ناجاه
والنحل يهتف حمداً فى خلاياه
والعبد ينسى وربى ليس ينساه
وتطلب النفس حمى طاعتك
وكل ما فى الكون من صنعتك
بلوائح من فيض نور هداه
مستأنسون بذكرهم إياه

الغربة الحقيقية

وقد سئل إبراهيم الحربي يوما عن الغريب في زماننا فقال:

(الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين، إن أمر بمعروف آذروه،

وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى شيء من الدنيا أعطوه،... ثم ماتوا

وتركوه...!).

فالعيب فينا وليس في زماننا وكما قال الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ونهبو ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان بنا هجانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا

فيا أخي المسلم: عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ولا ترضى بها فإنها

قليل وكما عرفت كيف كان مبتدئك يجب أن تدرك أنه لا بد من منتهاك، واستعد ليوم

أنت فيه بين يدي الله، ترجو النجاة فاحسب للقاءه ألف حساب وتوجه لخالق الأرض

والسماوات بالدعاء قبل أن يأتي زمن العذاب، واجعل حياتك وقفا على طريق الاستقامة،

فغدا لا تنفعك الندامة، فأنفاسك عليك تعد ورحالك يا صاح تشد والقبر ينتظر من لم

يزدجر. وحذار فلقد جرت منا الدنيا مجرى الدم من العروق، وتملك حبها من نواصي

قلوبنا، فبعنا آخرتنا الباقية بدينانا الزائلة وما بقي لنا إلا الرجاء لرحمة رحمن

السموات والأرض ورحيمهما ومن يرحمنا سواك يا إلهي وأنت القائل:

﴿قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر

الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (سورة الزمر آية ٥٣).



وروى أن رجل كثير البكاء، فقيل له في ذلك، فقال: أبكاني تذكرى ما جنيت على نفسى حين لم أستح ممن شاهدنى وهو يملك عقوبتى، فأخرنى إلى يوم العقوبة الدائمة وأجلنى إلى يوم الحسرة الباقية، والله لو خيرت أيما أحب إليك، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك: كن ترابا؟ لاخترت أن أكون ترابا.

وقد أدرك السلف الصالح رضوان الله عليهم، عندما أتت الدنيا بين يديهم، أن الحياة الدنيا ما هي إلا لعب ولهو وزينة وتفاجر لا ينخدع بها عاقل، وهي متاع الغرور، ولكن لا بد للمرء أن ينظر في عواقب الأمر، ويستعين بالصبر، ويتأمل مصيره النهائي، فيقبل على الطاعة ويغتتم النعم التى تفضل بها المولى العزيز عليه، ولا يركن إلى الدنيا، ولا يحدث نفسه بالبقاء فيها، ولا يتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه.

وقد قال أحد الصالحين: أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه، لذلك قال الله تعالى:

﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ (مريم آية ١٥)

وقال أحد الصالحين: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما رغب في الغنى لفاض بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر سعد في الدارين جميعا.

وما أشد كلمات ابن مسعود على القلب حين قال:

اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر وأوقات الخلوة،

فإن لم تجده في هذه المواطن.. فسل الله أن يمن عليك بقلب، فإنه لا قلب لك..



وكما قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

(ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون،
فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا
حساب ولا عمل).

| | |
|----------------------------|----------------------|
| نموت وأيامنا تذهب | ونلعب والموت لا يلعب |
| عجبت لذي لعب قد لهى | عجبت ومالى لا أعجب |
| أيلهو ويلعب من نفسه | تموت ومنزله يخرب |
| أرى الليل يطالبننا والنهار | ولم أدر أيهما أطلب |
| أحاط الجديدان جمعاً بنا | وليس لنا منهما مهرب |
| وكل له مدة تنقص | وكل له أثر يكتب |

فهذا عمر بن عبد العزيز عليه السلام عندما أتته الدنيا صاغرة بين يديه لم يغتر بها
وأدرك الحكم والملك زائل وأنه لا بد ملاق ملك الملوك سبحانه من لا يزول ملكه، فعاش
حياته زاهدا فيما بين يديه طامعا فيما عند الله ومات وهو يردد (تلك الدار الآخرة
جعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين).

وهاهو الزاهد العابد "الربيع بن خثيم عندما قيل له: كيف أصبحتم..؟

فقال: ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

وقد نظر يوما إلى تلاميذه وقال: أكثروا من ذكر الموت فهو غائبكم المرتقب، وإن

الغائب إذا طالت غيبته قربت عودته، وترقبه ذويه، (وراح الشيخ يبكي وقد فاضت

دموعه، ثم قال وقد أوشك صوته يحبس من البكاء) ماذا نضع غدا..؟

﴿إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجاء يومئذ بيهم
يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ (الفجر الآية ٢١، ٢٢، ٢٣).

يا لها من قلوب حية لا تعرف غير ربها فأين نحن منها وقد أصبحت التوبة
كلمة تجري على اللسان ولا تجد لها في القلب مكان، وصار أفضلنا مثل ذلك الرجل الذي
جلس عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال: استغفر الله.

فقال له علي كرم الله وجهه: ثكلتك أمك ألا تدري ما الاستغفار..؟
إن الاستغفار اسم وقع على خمسة معان:

أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العودة إليه أبداً، والثالث أن
تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله وليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى اللحم
الذي نبت من السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم
جديد، والخامس أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقت حلاوة المعصية فعند ذلك تقول:
استغفر الله. وكما قال الشاعر:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| النفس تبكى على الدنيا وقد علمت | أن السلامة فيها ترك ما فيها |
| لا دار للمرء بعد الموت يسكنها | إلا التي كان قبل الموت يبنيها |
| فإن بناها بخير طاب مسكنه | وإن بناها بشر خاب بانيها |
| لا تركنن إلى الدنيا وما فيها | فالموت لا شك مفنينا ويفنيها |
| واعمل لدار غدا رضوان خازنها | والجار أحمد والرحمن ناشيها |
| قصورها ذهب والمسك طينتها | والزعفران حشيش نابت فيها |

وقد كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يلبس ويتزين، فلما مات رسول الله ﷺ اجتهد الشاب في العبادة، ف قيل له لو فعلت هذا في عهد رسول الله ﷺ لقرن عيناه بك..؟

فقال كان لي آمان فمضى أحدهما ولم يبق إلا الآخر قال تعالى:
(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقد مات ﷺ ولم يبق لي إلا الاستغفار والاجتهاد .

وكان عيسى عليه الصلاة والسلام إذا مر بالشباب يقول:
يا معشر الشباب كم من زرع هلك قبل أن يدرك الحصاد..!
وإذا مر بالشيخ يقول: يا معشر الشيخوخ ما ينتظر بالزرع إذا أدرك الحصاد..؟
وهاهو "أبو ذر" حبيب رسول الله ذلك الرجل الذي قال عنه الرسول الكريم ﷺ
أن يمشي وحده ويموت وحده ويبعث يوم القيامة وحده فأى شرف له بعد هذه
الكلمات..

هاهو يمر في طريقه علي رجل أذنب ذنبا، والناس يسبون، فقال لهم:
أرأيتم لو كان أخوكم وقع في بئر أكنتم مستخرجيه..؟
قالوا: نعم.

قال: فاستغفروا لأخيك واحمدوا الله الذي عافاكم.
فقالوا: أفلا تبغضه.

قال: لا إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي قال عنه رسول الله ﷺ "أن قدمه في الجنة أثقل من جبل أحد" مر يوماً في طريقه على حداد يصهر الحديد ويعالجه، فنظر إلى الحديد والنار تذيبه فقرأ..

﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾ (سورة الفرقان الآيتان ١٢، ١٣)

وقد ذكر أنه كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت فذكر ذلك للنبي ﷺ، فأتاه النبي ﷺ فلما نظر إليه الشاب، قام فاعتنقه وخر ميتا، فقال النبي ﷺ:

"جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فلذ كبده، والذي نفسى بيده، لقد أعاده الله منها من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هرب منه".

هكذا كانت نظرة الصالحين لكل ما يمر عليهم في دنياهم، كانوا يربطون كل شيء بأخرتهم وقد وضعوا نصب أعينهم ذلك اليوم الذي لا مفر منه يوم يحاسبنا خالقنا عما أسرفنا في حياتنا الدنيا.

وقد قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما حضرته الوفاة:

أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبا بالموت، مرحبا زائرا، مغرب حبيب جاء على فاقة، اللهم إنى كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا، ولا طول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن نظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء، بالركب عند حلق الذكر.



يا من تفرد بالبهاء وبالسنا
يا من له وجب الكمال لذاته
ما فى الوجود سواك رب يعبد
يا من له عنت الوجوه بأسرها
أنت الإله الواحد الفرد الذى
لما علمت بأن قلبى فارغ
وملأت كلى منك حتى لم أدع
يا من يجيب العبد قبل سؤاله
وإذا أتاه الطالبون لعفوه
أصبحت ضيف الله فى دار الرضا
تعفوا الملوك عن النزول بساحهم
وأنا المسىء وقد دعوتك سيدي
يا من إذا وقف المسىء ببابه

فى عزه وله البقاء السرمد
فأنت ترفع من تشاء وتسعد
كلا ولا مولى سواك فيقصد
ذلا وكل الكائنات توحد
كل القلوب له تقر وتشهد
ممن سواك ملأته بهواك
منى مكانا خاليا لسواك
ويجود للعاصين بالغفران
ستر القبيح وجاد بالإحسان
وعلى الكريم كرامة الضيفان
كيف النزول بساحة الرحمن
تعفو وتصفح للعييد الجانى
ستر القبيح وجاد بالإحسان



المناجاة

عجبا لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة، وما أصغت
للمواعظ سامعة، ثم غدت في كرم الكريم طامعة.

وأى نفس خير من نفوس سبقتنا وبطاعة رب العزة غلبتنا، إنهم السلف الصالح
رضي الله عنهم الذين تلتذذوا بلذة العبادة وحلاوة المناجاة، وكانت سعادتهم في الساعات
التي يقضونها بين يدي ربهم، باكين مستغفرين، ناديين على ما فاتهم من الذنوب، وما
أخذت الدنيا منهم، وقد تورمت أقدامهم من طول الوقوف، وما فارقوا أوائل الصفوف،
صلوا والناس نيام، واجتهدوا في العبادة والقيام، وقد تعلقت القلوب برحمة غفار
الذنوب، راجين رحمته وثوابه، مستعيذين من غضبه عذابه..

فهذا التابعي الجليل "عامر بن عبد الله التميمي" وقف يناجي ربه قائلا:

إلهي لقد خلقتني بأمرك، وأقمتني في بلايا هذه الدنيا بمشيئتك، ثم قلت لي:

استمسك، فكيف أستمسك إن لم تمسكني بلطفك يا قوي يا متين..؟

إلهي إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها ثم طلبت مني مرضاة لك

لوهبتها لطالبها، فهب لي نفسي يا أرحم الراحمين.

إلهي إنك تعلم إنني أحببتك حبا سهل علي كل مصيبة، ورضاني بكل قضاء فما

أبالي مع حبي لك ما أصبحت عليه، وما أمسيت فيه.

فما أروعه من دعاء، يصعد إلى رب السماء، وخالق الأحياء جل شأنه وتعالى

سلطانه، الخالق الذي ليس له شريك أو ولد المتفرد بالوحدانية، له كلنا قد عبد.



فيا من كتابه بالذنوب ملآن، استدرك أمرك من الآن، وقل لي متى يا صاحبي
الحيران، متى تتحدث الجيران..؟ بأنه قد تاب فلان، فيا مذنباً هذا وقت الإنابة، ويا
غافلاً عن الحق وقد فتح بابه، تعرض للقبول فذاك وقت الإجابة، فقد بكى أبوك آدم
على ذنب واحد ثلاثمائة سنة، فلماذا أنت جاحد..؟

فيا من يطمع أن يلحق بالعاملين وهو راقد في مهاد الغافلين، فارق أوطان غفلتك،
فلعلك تصحو من سكرتك، فوالله لو ذقت حلاوة الخلوة بالمولى، لما سكنت إلى مؤانسة
الخلان، ولما احتجت بعدها لإنسان.

فيا إلهي كيف يحيط بك عقل أنت خلقتة..؟،
وكيف يدركك بصر أنت شققتة..؟،
وكيف يدنو منك فكر أنت صنعتة..؟،
وكيف يحصي الثناء عليك لسان أنت أنطقته..؟

إلهي إذا تجمعت عظام الجرائم كانت بجانب عفوك قليلة، فيا من خلقت القلوب
بيديك دواء القلوب العليلة.. سبق السبق، فأنت الأول ولعفوك ربي ذنوبي أحمل،
فعبجا للقلوب كيف استأنست بسواك..؟، والأرواح كيف استقرت والأسرار بنور
البصائر تراك..؟، والألسن كيف شكرت من لا يقدر على شيء لولاك..؟، والأقدام كيف
سعت إلى غير رضاك..؟، إلهي كيف يناجيك في الصلوات من يعصيك في الخلوات..؟، أم
كيف يدعوك في الحاجات من ينسأك عند الشهوات..؟، وكيف يا ربي تنام العيون
وتغفل الجفون، وأنت تقول في كل ليلة:



هل من تائب، وهل من مستغفر، وهل من سائل، كيف كفت الأكف عن سؤالك
وسيل الجود سائل، ومن رحمتك لم تنقطع عنا الرسائل، والخير والجود منك إلينا
نازل، وكيف يبيع الفاني بالباقي والأيام قلائل.. عجز عن وصفك الواصفون، واجتهد في
عبادتك المتقين، ومن سواك يرجون..؟، وأنت الرؤوف الحنون، أنت الذى خلقت الجنة
ووسعت أراضيتها، فاجعل لنا نصيباً فيها، فأنت حبيب كل غريب، نجنا يا ربنا من
اليوم الرهيب..! ويل لنا.. ويل لنا.. إن لم نحاسب أنفسنا، فنهارنا وليلنا تصارعا على
فناء عمرنا.

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| حاسبت نفسى لم أجدنى صالحا | إلا رجائى رحمة الرحمن |
| ووزنت أعمالى على قلن أجد | فى الأمر إلا خفة الميزان |
| وظلمت نفسى فى فعالى كلها | ويحى إذا من وقفة الديان |
| يا أيها الإخوان إنى راحل | مهما يطل عمرى فإنى فان |
| يا رب إن لم تعرض إلا ذا تقى | من للمسىء المذنب الحيران |



مع الزاهدين

إن للزهد رجال ندمت الدنيا كلما حاولت إغواءهم، وأنى لها بهم، فذهبها عندهم تراب، ونعيمها عندهم عذاب، وحريريتها شوك إذا ما وضع على الأجساد، ولذيق طعامها صدقة يخرجونها للعباد، لبسوا الخشن من الثياب، وافترشوا التراب، واستعدوا ليوم الحساب.

فهاهو الصحابي الجليل سلمان الفارسي الذي ترك نعيم الدنيا وملك فارس ليبحث عن الحقيقة، فهام على وجهه، لا يطلب إلا رب الكون ليعبده فتنقل من دين إلى دين حتى وجد رسول الله ﷺ فأمن على يديه وأدرك أنه الدين الحق الذي عاش يطلبه.. هاهو يلخص لنا ما أضحكه وما أبكاه فيقول:

(أضحكني ثلاث: ضحكت من مؤمل في الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك بملء فيه لا يدري أمسخط ربه أم مرضيه..؟ وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد ﷺ وصحبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة..؟)

وكان "عامر بن عبد الله" قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلى العصر جلس وقد انتقخت ساقاه من طول القيام، فيقول:

يا نفس.. بهذا أمرت.. ولهذا خلقت.. يوشك أن يذهب العناء.

وكان يقول لنفسه:



يا مأوى كل سوء، فوعزة ربي، لأزحفن بك زحف البعير، ولئن استطعت أن لا
يمس الأرض من زهمك لأفعلن، ثم يتلوى كما يتلوى الحب على المقلبي، ثم يقوم فينادي:
اللهم إن النار قد منعتنى من النوم.. فاغفر لي..!!

وها هو التابعي الجليل "صلة بن أشيم" خرج في غزوة إلى "كابل"، فنزل الناس
عند منطقة تسمى "الغنيمة"، فصلوا ثم نام، فقام رجل وقد أراد أن يرى عمله الصالح
الذي يحكون عنه لكي يتعلم منه، وانتظر حتى هدأت العيون، فوجده قد وثب فدخل
غيطا قريبا من الجيش، فدخل على أثره، فرآه يتوضأ، ثم قام يصلي.

فجاء أسد حتى دنى منه، فصعد الرجل على الفور إلى شجرة ليراقب ماذا سيفعل
"صلة بن أشيم" مع الأسد، فإذا به لم يلتفت، ولم يهتم به، حتى سجد، فظن الرجل أنه
سيفترسه الآن، لكن ذلك لم يحدث، وجلس حتى أنهى صلاته وسلم، ثم قال:

أيها السبع.. اطلب الرزق في مكان آخر، فانصرف السبع..

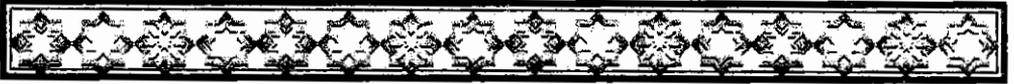
وإن له لزئيرا تتصدع منه الجبال، وما زال "صلة بن أشيم" يصلي حتى الصباح،
ثم جلس فحمد الله بمحامد كثيرة، ثم قال:

اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار، ومثلى لا يجترىء أن يسألك الجنة، ثم
رجع فأصبح بين الجند كأنه بات معهم.

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه:

يا فلان لقد أرقت الليلة مفكرا، قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال: فى القبر
وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثالثه فى قبره، لاستوحشت فى قربه بعد طول الأنس
بناحيته، ولئن رأيت ميتا يجول فيه الهوام، ويجرى فيه الصديد، ويخرقه الديدان





مع تغيير الريح، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب، وقال: ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه، فقالت فاطمة: ويحك يا مزاحم أخرج هذا الرجل، وجاءت فاطمة فجعلت تصب على وجهه الماء، وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي، فقال: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا، فذكرت مصرعك بين يدي الله، وتخليك من الدنيا، وفراقك لنا، فذلك الذي أبكاني.

قال: حسبك يا فاطمة، فقد أبلغت ثم مال فسقط، فضمته إلى وقلت: يا أباي أنت أمير المؤمنين، ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا، فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة، فصب على وجهه ماء، ثم نادته: الصلاة يا أمير المؤمنين، فانتبه فرعا.

وقد أرسل عمر بن عبد العزيز يوما إلى الحسن البصري يطلب منه أن يجمع له أمر الدنيا والآخرة في رسالة واحدة فأجابه:

إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام.. من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن علم عمل.

فإذا زلت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك.
فيا له من خليفة عادل أراد وجه الله، فبحث عن رضاه.

وها هي قوافل الصالحين تمر بنا لتعلمنا كيف نتعامل مع دنيانا..؟، وكيف نتفكر في آخرتنا..؟



وقد أدى الصالحين دورا عظيما فى نصيحة الخلفاء والحكام، ومثال ذلك أن

رجلا نادى الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر :

يا سليمان انكر يوم الأذان.. فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له :

وما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿فَأَذِّنِ مَوْذِنًا بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى

الظالمين﴾ (سورة الأعراف الآية ٤٤).

قال: فما ظلامتك؟ قال: أرض لى بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك؟ فكتب إلى وكيله

ادفع إليه أرضه وأرضا مع أرضه.

ومن عجائب ما ذكر من قصص قال قاسم بن عثمان الكوفى :

رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فإذا هو لا يزيد على قوله :

اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض.. فقلت له: مالك لا تزيد على هذا

الكلام؟ فقال: أحدثك.. كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فأسرونا كلنا

وقيدونا بنا لتضرب أعناقنا.

فنظرت إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين

فى كل باب جارية.. فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل قد

هبطت إلى الأرض ثم بعد ذلك ضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقى باب وجارية فلما

قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول: بأى شىء

فاتك هذا يا محروم؟ وأغلقت الأبواب.. فأنا يا أخى متحسر على ما فاتنى.. قال قاسم بن

عثمان: أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق.

إنها قلوب تحيا بذكر الله وتنفق العمر فى رضاه وليست كتلك القلوب
التي اعتادت الذنوب ووسعت فى الدنيا آمالها وسودت أعمالها فلم تشكر خالقها ولم
تحمد رازقها..

﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من
لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين * ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون * ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم
ينسلون * قالوا يويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون *
إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ (سورة يس الآيات ٤٧ : ٥٣)

فيا إلهي لولا أنك بالفضل تجود، ما كان عبدك إلى الذنب يعود، ولولا محبتك
للغفران ما قابلت إساءتنا بالإحسان.. نعم يا اخوتى فانه خالقنا.. ليس بينه وبيننا
حجاب ولا ولي ولا وسيط يبلغه دعاءنا وعبادتنا وهو يسمع دعاءنا، فيباهى بنا
ملائكته.. لأنهم قالوا:

”أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك“
فأجابهم: ”إني أعلم ما لا تعلمون“.. لذلك وجب علينا أن نتوجه له وحده بالدعاء
فهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وهو سبحانه العزيز المجيد، المحيط علمه بكونه،
بما فيه ومن فيه، يرى الأفعال ويسمع الأقوال، ويعرف دقائق الأحوال وما تخفيه
النفوس، وتكنه الضمائر، وتكتمه القلوب والسرائر..

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة المجادلة آية ٧).

وهو قريب من عباده المؤمنين وهو وحده الذي يجيب دعائهم يجيب دعاء عباده التائبين الصادقين فقط، وكيف ينتظر الإجابة أو يجد لندائه جوابا من يطلب من الله ويعبد غيره..؟

وهاهي الآية الكريمة تقول (فليستجيبوا لي). والاستجابة لله إنما تكون بطاعته، والحفاظ على شرعه. أما من يخالف ولا يستجيب فكيف يستجاب دعاؤه..؟ وهاهو الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم يضع القاعدة الأساسية ويوضح لنا أن المرء يمد يده إلى السماء ويقول: يا رب.. يا رب، وملبسه من حرام، ومطعمه من حرام، فأنى يستجاب له..؟

وكيف لا ندعوك يا ربي بعد كل هذا ونحن ما لنا قوة إلا بك وأنت الذي كرمتنا على جميع خلقك بالعقل الذي أردت أن نعرفك به وأنت سبحانه القائل في حديثك القدسي:

- يا بن آدم لا تخف من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا.. وسلطاني لا ينفذ أبدا.
- يا ابن آدم لا تخشى من ضيق الرزق وخزائني ملآنة.. وخزائني لا تنفذ أبدا.
- يا ابن آدم لا تطلب غيري وأنا لك.. فإن طلبتني وجدتني.. وأن فتني فتك وفاتك الخير كله.



• يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك.. وخلقتك من أجلي.. لا تنشغل بما هو لك..
عمن أنت له.

• يا ابن آدم إن رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك.. وكنت عندى محمودا..
وإن لم ترض بما قسمته لك.. فوعزتي وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها
ركض الوحوش في البرية.. ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك.. وكنت عندى
مذموما.

• يا ابن آدم خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن.. أيعييني رغيف عيش
أسوقه إليك.

• يا ابن آدم.. لم أطالبك بعمل غد.. فلا تسألني عن رزق غد.. فأنا لم أنس من
عصاني.. فكيف أنس من أطاعني..

• يا بن آدم أنا لك محب.. فبحقي عليك كن لي محبا.

فما أجمل وأروع كلام ربنا، فكيف نياس وكيف نقنط مهما بلغت أوزارنا
وخطايانا، وأية خطايا تكون هذه وقد وجدت ربا رحيمًا يقبل التائبين فما جعل الله
التوبة إلا للعصاة وما أرسل الأنبياء إلا للضالين وما جعل المغفرة إلا للمذنبين، وما سمى
نفسه الغفار التواب العفو الكريم، إلا من أجل أن نخطئ فيغفر، فلنجدد استغفارنا كل
لحظة ولنجدد معرفتنا به ونجدد العهد بيننا وبينه ونصل ما انقطع من الطاعة بغفلتنا
فإنه لا يمل دعاء الداعين.. وهو يحب السائلين الطالبين الضارعين الراقعي الأكف على
بابه.. إنه غفور رحيم.

وقد دعاه يوسف الصديق عند كربته قائلاً:





"يا عدتى عند كربتي، ويا صاحبي في غربتي، ويا غيائي عند شدتي، ويا رجائي إذا انقطعت حيلتي، اجعل لي فرجا ومخرجا".

فله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها، وأبعدوا قلوبهم عن ظلامها، والتقطوا أيام السلامة فغنموا، وأحبوا كلام مولاهم فاستسلموا لأمره، وجعلوا نفوسهم طاعة لقوله، وهجروا في طاعته لذيذ الكرى، وهربوا إليه من جميع الورى، وآثروا طاعته إيثار من علم ودري، وجعلوا الصدر لطاعته مشروح، فعدى باب فضله لهم مفتوح. فيا إلهي.. كيف يصل الواصلون إليك..؟ وكيف يكون مقامهم بين يديك..؟ وقد طالت أسفارنا وبين يديك مستقرنا، فباى زاد نبلغ غايتنا.. ورضاك ربي منيتنا.

وقوتى ضعفت والموت يطلبنى
الله يعلمها فى السر والعلن
على المعاصى وعين الله تنظرنى
وقد تماديت فى ذنبى ويسترنى
على الفراش وأيديهم تقلبنى
ولم آر الطبيب اليوم ينفعنى
من كل عرق بلا رفق ولا هون
بيكى على وينعانى ويندبنى
نحو المغسل يأتينى يغسلنى
من الثياب وأعرنى وأفردنى
وصار فوقى خرير الماء ينظفنى

سفرى بعيد وزادى لن يبلغنى
ولى بقايا ذنوب لست أعلمها
وأنا الذى أغلق الأبواب مجتهدا
ما أحلم الله عنى حيث أمهلنى
كأننى بين تلك الأهل منطرحا
وقد أتوا بطبيب قد يعالجنى
واشدت نزعى وصار الموت يجذبها
كأننى وحولى من ينوح ومن
وقام من كان أحب الناس فى عجل
فجاءنى رجل منهم فجردنى
وأودعونى على الألواح منطرحا





غسلا ثلاثا ونادى الناس بالكفن
من الرجال وخلفى من يشيعنى
على رحيل بلا زاد يبلغنى
خلف الإمام فصلى ثم ودعنى
ولا سجد لعل الله يرحمنى
وقدموا واحدا منهم يلحدنى
فأسكب الدمع من عينيه أغرقنى
حسن الثواب من الرحمن ذى المنن
وصار وزر على ظهري فأثقلنى
وانظر إلى فعلها فى الأهل والوطن
فعلا جميلا لعل الله يرحمنى
عسى تجزيين بعد الموت بالحسن
فإنك أنت الرحمن ذو المنن

وأسكب الماء من فوقى وغسلنى
وحملونى على الأكتاف أربعة
وأخرجونى من الدنيا فوا أسفا
وقدمونى إلى المحراب وانصرفوا
صلوا على صلاة لا ركوع لها
وأنزلونى على قبرى على مهل
فكشف الثوب عن وجهى لينظرنى
وقال هلوا عليه التراب واغتتموا
وتقاسم الأهل مالى بعد ما انصرفوا
فلا تغرنك الدنيا وزينتها
يا نفس كفى عن العصيان واغتتمى
يا نفس ويحك توبى واعملى حسنا
وامنن على بعفو منك يا أملى



مع البكائيه

سالت دموع العارفين، فأبحرت سفن النجاة، وضاع من أفواههم طعم الحياة، وأدركوا أن في ذلك سبيل الخلاص، فما نامت أعينهم، وما توقفت ألسنتهم، فإذا هي بالذكر تحيا، وفي العبادة تقنى. فظهرت منهم نجوم أضاءت الطريق، فكانوا ينظرون إلى كل شيء يمر بهم نظرة مختلفة عن سواهم.

ومن ذلك أنه قد ذكر أن أحد الصالحين كان يمشى ذات يوم فوجد رجلا يشوى لحما في النار.. فبكى الرجل الصالح فقال له الشواء: ما يبكيك؟ هل أنت محتاج للحم؟ فقال له الرجل الصالح: لا.. فقال له الشواء: إذا فما يبكيك؟ فقال الرجل الصالح: إنما أبكى على ابن آدم.. يدخل الحيوان النار ميتا وابن آدم يدخلها حيا.

ومن أشد الناس بكاء وأشهرهم زهدا - يزيد الرقاشي - كان إذا دخل بيته بكى، وإذا شهد جنازة بكى، وإن جلس إليه إخوانه بكى وأبكاهم، فقال له ابنه يوما: كم تبكى يا أبت..؟ والله لو كانت النار خلقت لك، ما زدت على هذا البكاء.

قال: ثكلتك أمك، يا بنى وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي، ولإخواننا من الجن والإنس، أما تقرأ يا بنى:

﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ أما تقرأ يا بنى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ أما تقرأ يا بنى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام * فبأي آلاء



رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * طُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ
آن ﴿سورة الرحمن الآيات من ٣١ : ٤٤﴾

فجعل يدور في الدار، ويصرخ، ويبكي، حتى غشى عليه، فقالت أمه للفتى:

يا بني ما أردت إلى هذا من أبيك، قال:

إنى والله إنما أردت أن أهون عليه لم أرد أن أزيده حتى يقتل نفسه.

وقالوا يوماً ليزيد الرقاشى: أما تسأم من كثرة البكاء..؟

فبكى وقال: وهل تسأم المرضع من الغذاء، والله لوددت أن أبكى بعد الدموع

الدماء، وبعد الدماء الصديد، أيام الدنيا، فإنه بلغنا أن أهل النار يبكون الدماء، إذا

نفذت الدموع، حتى لو أرسلت فيها السفن بحرت، فما حق امرئ أن لا يبكى على

نفسه فى الدنيا وينوح عليها.

وكان يقول: ابك على نفسك قبل حين البكاء، إنما سمي نوحاً لأنه ناح عليه

السلام على نفسه، يا يزيد من يصلى لك بعد..؟ أم من يصوم..؟ يا يزيد من يتضرع

لك بعدك..؟ ومن يدعو..؟ يا إخوانه ابكوا وبكوا أنفسكم، فإن لم تجدوا بكاء، فارحموا

كل بكاء.

وهاهو "فتى من الأزد" يسمع آيات الله (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى

الحناجر كاظمين مال الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)

فيصرخ فيسأل شيخه "أبا بشر" قائلاً:

أكل هذا في القيامة..؟ فيقول له الشيخ نعم والله، وما هو أكثر، لقد بلغني أنهم

يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فلا يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من الدنف..



فصاح الفتى إنا لله، واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وأسفاه على تفريطي في طاعتك يا سيدها، وأسفاه على تضييعي عمري في دار الدنيا..

ثم بكى واستقبل القبلة وقال:

اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك اللهم فاقبلني على ما كان في، واعف عما تقدم من فعلى، وأقلني عثرتي وارحمني، ومن حضرني، وتفضل علينا أجمعين بجودك يا أرحم الراحمين لك ألقيت معاهد الأيام من عنقي وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقاً لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقتلني..

ثم غلبه التعب فسقط مغشياً عليه، فحمل بين القوم صريعاً، فمكثوا يعودونه أياماً ثم مات، فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له، فكان شيخه يذكره في مجلسه ويقول عنه قتيل القرآن. ورآه رجل في منامه، فقال له: ما صنعت..؟ قال: عممتني بركة مجلس صالح. ودخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء.

فما أصدق دعاء الفتى، وما أخلصه، وهو الذي أدرك أن الله قريب.. ليس بينه وبينه حجاب.. فخشي غضبه ورجى رحمته، وطلب لقائه.

وقد كان "عامر بن عبد الله" من الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد، فإنه كان إذا صلى يتمثل إبليس له في صورة حية، فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه، فما يمسه. فقيل له:

ألا تنحى الحية عنك، فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف سواه.. فقيل له: إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع، فقال: والله لأجهدن.. والله لأجهدن، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فلبعد جهدي، فلما احتضر، بكى.. فقيل له أتجزع من الموت



وتبكي ، فقال : وما لي لا أبكي ومن أحق بذلك مني...؟ والله ما أبكى جزعا من الموت ، ولا حرصا على دنياكم رغبة فيها ، ولكن أبكى على ظلماً الهواجر ، وقيامى ليل الشتاء .
وكان يقول : إلهى فى الدنيا الهموم والأحزان ، وفى الآخرة الحساب والعذاب ،
فأين الروح والفرج...؟

فهؤلاء الرجال علموا أنهم معروضون على ربهم ، فخففوا أحمالهم ، وقللوا أوزارهم ، فإذا امتد الليل ، وأسدل أستار ظلامه ، كانوا كالنجوم يعرفون طريقهم ودليلهم فيه هو الوقوف بين يدي خالقهم ، ولسانهم الذاكر كأنى به يرشد الكون عنه ويقول :

وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الليل والإصباح والظير شاديا
وسل كل شئ تسمع الحمد ساريا
فمن غير ربي يرجع الصبح ثانييا
سوى الله يجريه كما شاء راويا
أفى كونكم من يمسك الريح ناهيا
وكل أمر جرى بالكاف والنون
لا تجعل النار يوم الحشر تكويني
ترى ما لا يرى للنظارين
إلى ملكوت رب العالمين

سل الواحة الخضراء والماء جاريا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندى
وسل هذه الأنسام والأرض والسما
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا
ولو غاص هذا الماء فى القاع هل لكم
ولو أن هذى الريح ثارت وأعصرت
يا بارئ الكون فى عز وتمكين
يا من لطفت بحالى قبل تكويني
قلوب العارفين لها عيون
وأجنحة تطير بغير ريش



ماذا تقول لربك غدا يا عمر؟!

ما أعجب سيرة الفاروق ذلك الحاكم الذى حاسب نفسه وعلم من حكم بعده واشتهر زهده وملا الأرض عدله فأينا مثله وهو صاحب القول الشهير:
"ماذا تقول لربك غدا"

ذلك القول الذى جمع بين دفتيه كل معانى الخوف من الله.
ولهذا القول قصة أجدر بنا أن نسردها فى كتابنا وهى أنه قدم الأحنف بن قيس
رضي الله عنه يوماً على عمر رضي الله عنه يبشره بأن الله قد فتح على المسلمين فتحة عظيمة فقال له عمر:
أين نزلتم؟

قال: فى مكان كذا فذهب معهم حتى أتى مكان رحالهم فرأى عمر ركابهم وقد
أصابها الوهن.

فقال: هلا اتقيتم الله فى ركابكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا؟ هلا
رحمتموها؟ هلا حللتم بها فأكلت من نبات الأرض؟.

ثم انصرف راجعا وهم معه فأتى رجل فقال:

يا أمير المؤمنين، إن فلانا ظلمنى فأعدنى - أعنى - عليه فرفع عمر درته - عصاه
- وضرب بها رأس الرجل وقال: تدعون عمر حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه
وقلتم أعدنى أعدنى، فانصرف الرجل يتذمر فدعاه عمر ثانية فجاء الرجل فألقى إليه
عمر بدرته وقال له: اقتص - أى اقتص منى - قال: بل ادعه لله ولاء.

قال عمر: ليس كذلك، بل تدعه إما لله وإرادة ما عنده وإما تدعه لى.

فقال الرجل: أدعه لله.

فقال عمر له: انصرف ثم رجع عمر حتى دخل منزله والقوم معه فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس.

فقال لنفسه: يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته، ماذا تقول لربك غدا؟

إنه حساب النفس للنفس قبل أن يأتى زمان الحساب.. ويحين أوان العقاب، هكذا كانت سيرة الفاروق عمر معلما وزاهدا.

وهاهو عندما كان أميرا للمؤمنين يستوقفه أعرابي وهو في طريقه ويقول له:

يا عمر الخير جزيت الجنة أكسي بنياتي وأمهنه
وكن لنا في ذا الزمان جنه أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر: وإن لم أفعل يكون ماذا؟

فقال الرجل: إذا أبا حفص لأمضيته.

فقال عمر: فإن مضيت يكون ماذا؟

فقال الرجل:

والله عنهن لتسألنه يوم تكون الأعطيات منه

وموقف المسؤل بينهن إما إلي نار وإما إلي جنه

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته وابتلت، ثم قال لغلامه: يا غلام.. أعطه

قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره. والله لا أملك غيره.

وهاهو عمر بن الخطاب الذى ظل يحاسب نفسه طوال حياته كان يقول: حاسبوا
أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا
أن تحاسبوا أنفسكم اليوم.

تزينوا للعرض الأكبر "يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية" ورأى عبد الله بن
عامر عمرا رضي الله عنه ذات يوم يقول وقد أخذ تبنا من الأرض: ليتنى كنت هذه التبنة، ليتنى
لم أخلق، ليت أمى لم تلدنى، ليتنى لم أك شيئا، ليتنى كنت نسيا منسيا رضي الله عنه.

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا | بين الرعية عطلا وهو راعيها |
| فوق الثرى تحت ظل الروح مشتملا | ببردة كاد طول العهد يبليها |
| رآه مستغرقا فى نومه فرأى | فيه الجلالة فى أسمى معانيها |
| وحسبه بملوك الفرس أن لها | سورا من الجند والأحراس يحميها |
| فقال قولة حق، أصبحت مثلا | وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها |
| أمنت لما أقمت العدل بينهمو | فنمت نوم قرير العين هانيها |
| قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها | بفضل ربك حصنا من أعاديها |

وها هو موقفه يوم أن مات إبراهيم بن الرسول رضي الله عنه وهو ابن ستة عشر شهرا

فحمله رسول الله رضي الله عنه وقال له وهو يعالج سكرات الموت:

"يا إبراهيم أنا لا أملك لك من الله شيئا".

وأتى النبي ﷺ موضع الدفن فوضع ولده تحت أطباق التراب وقال له " يا إبراهيم إذا جاءتك الملائكة فقل لهم الله ربي ورسوله أبى والإسلام دينى " فسمع النبي ﷺ صوت بكاء من خلفه فنظر فإذا هو عمر رضي الله عنه فقال له الرسول ﷺ: " ما يبكيك يا عمر "

قال: يا رسول الله ابنتك لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه القلم وليس فى حاجة إلى تلقين فماذا يفعل ابن الخطاب وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم ولا يجد ملقنا مثلك يا رسول الله؟ وإذا بالإجابة تنزل من فوق سبع سماوات بقول الله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾. (سورة إبراهيم الآية ٢٧)

وها نحن نرى عمر الخليفة الزاهد يوم أرسل أمير إقليم أذربيجان إليه بهدية مع مندوب له فقدم المندوب المدينة ليلا فلم يشأ أن يقلقه فى بيته فأراد أن يقضى ليلته فى مسجد رسول الله ﷺ حتى يؤذن للفجر فيلقى عمر فى الصلاة فيحدثه بما جاء من أجله. وبينما هو فى المسجد فى جوف الليل إذ سمع صوتا فيه التضرع والزلة لله عز وجل: يا رب أنا واقف ببابك أقبلت توبتى فأهنتى نفسى أم رددتها على فأعزى نفسى فقال المندوب:

من أنت يرحمك الله؟ فقال له: أنا عمر بن الخطاب.
فأخذت الرجل الدهشة فقال: إننى لم أشأ أن أذهب إلى بيتك حتى لا أقلق مضجعك وأنت هنا يقظا!



فقال له عمر: يرحمك الله إنى إن نمت الليل كله أضعت نفسى أمام ربي وإن نمت النهار كله أضعت رعيتى.

وبعد أن صليا الفجر ذهب عمر ومعه الرجل إلى بيته وطلب طعاما للضيف فلم يكن بالبيت سوى خبز وملح فأكلا ثم سأل عمر الرجل قائلا: فيم جئتنا؟ فقال له المندوب: إن الأمير أرسلنى بهذه الهدية إليك فقال له افتح الهدية ففتحتها فإذا بها علبة بها حلوى وقال الرجل: لقد جئتك بهذه الحلوى من أمير الإقليم إليك أنت وهى حلوى لا تصنع إلا هناك.

فسأله عمر: أكل المسلمون أعطيتهم هكذا؟

فعجب الرجل وقال: إنها صناعة مخصوصة لك أنت يا أمير المؤمنين.

وإذا بعمر يغضب من قول الرجل ويقول له: ارجع إلى صاحبك وقل له: لو عدت إلى هذا العمل مرة أخرى لأنزلت بك قاصمة تقطع عظام ظهرك. انذهب بهذه الحلوى إلى فقراء المسلمين فى المسجد وقسمها عليهم فحرام على بطن عمر أن يذوق حلوى لا يأكل منها فقراء المسلمين.

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها | إن جاع فى شدة قوم شركتهمو |
| فى الزهد منزلة سبحان مولياها | جوع الخليفة والدنيا بقبضته |
| أو من يحاول لفاروق تشبيها | فمن يبارى أبا حفص وسيرته |
| من أين لى ثمن الحلوى فأشريها | يوم اشتهت زوجته الحلوى فقال لها |
| أولى، فقومى لبيت المال رديها | ما زاد عن قوتنا فالسلمون به |





وخرج عمر من المسجد يوماً ومعه "الجارود" فإذا امرأة عجوز واقفة على الطريق فسلم عليها فردت عليه وسلمت عليه فرد عليها فقالت: هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت فبكى عمر رضي الله عنه.

فقال لها الجارود: هيه لقد تجرأت على أمير المؤمنين وأبكيتيه. فقال عمر: دعها.. أما تعرف من هذه؟ هذه خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سماواته فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها.

ويكشف الضر والبلوى مع السقم
فمن يجود على العاصين بالكرم
وعلى الكريم كرامة الضيفان
كيف النزول بساحة الرحمن
ستر القبيح وجاد بالإحسان
تغفوا وتصفح للعبيد الجاني

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
إن كان أهل التقى فازوا بما عملوا
أصبحت ضيف الله في دار الرضا
تعفو الملوك عن النزول بساحهم
يا من إذا وقف المسىء ببابه
وأنا المسىء وقد دعوتك سيدي





إلا رجائي رحمة الرحمن
في الأمر إلا خفة الميزان
ويلى إذا من وقفة الديان
مهما يطل من عمرى فإني فان
من للمسيء المذنب الحيران
وأنا أنوح مخافة الديان
يا من إذا قلت يا مولاي لباني
فكيف أنساك يا من لست تنساني
فلطالما استغرقت في العصيان
بك مستجير من لظى النيران
وامنن عليه اليوم بالغفران

حاسبت نفسي لم أجد لي صالحاً
ووزنت أعمالى على فلم أجد
وظلمت نفسي في فعالي كلها
يا أيها الإخوان إنى زائل
يا رب إن لم تعرض إلا نا تقى
نوح الحمام ينوح من ألم النوى
يا واحداً في ملكه ما له ثانى
أنسى فتذكرونى في كل نائبة
أنا إن بكيت فلن ألام على البكى
يا رب عبدك من عذابك مشفق
فارحم تضرعه إليك وضعفه



المرأة العابدة

ومن النساء من شغلتهن الآخرة عن الدنيا فتركوا متاعها وزينتها وأغمضوا العيون عن فتنتها، وعاشوا حياتهم ينتظرون لقاء الله قائمين الليل، صائمين النهار، نافسوا الرجال في العبادة، ويا له من ميدان الخير فيه زيادة، فكانت منهن العابدات.. الزاهدات.. القانتات.. الثابتات.. البائعات للدنيا.. المقبلات على الآخرة..، فحارت في زهدن العقول، وتعجب منهن أولى الألباب، لما رأوا من عجائب العبادة، ومن أشهر هؤلاء النساء "عفيرة" العابدة التي اشتهرت بزهدها في الدنيا، حتى عميت من كثرة البكاء، وفي أحد الأيام سمعت من يقول عنها:

(ما أشد العمى على من كان بصيرا).. فقالت له:

يا عبد الله، عمى القلب عن الله أشد والله من عمى العين عن الدنيا..!
والله وددت لو أن الله وهب لي كنه محبته، وأنه لم تبق مني جارحة إلا أخذها..!
وقال لها رواح بن "سلمة الوراق" يوما: بلغني أنك لا تنامين الليل؟
فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام، فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو يقدر على النوم، من لا ينام عنه حافظاه ليلا ولا نهارا..!؟

قال: فأبكتني والله، وقلت في نفسي: أراني في شيء وأراك في كل شيء..!

وقيل لها يوما: أما تسأمين من طول البكاء؟

فبكت، ثم قالت: كيف يسأم ذو داء من شيء يرجو لو أن فيه من دائه شفاء؟!.

وقال محمد بن عبيد: دخلنا على عفيرة فقيل لها: يا عفيرة ادعي الله لنا.

فقال: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أمر المسيء

بالدعاء، جعل الله قراكم من بيتي الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال.

وقال يحيى بن راشد: كنا عند عفيرة العابدة فقدم ابن أخ لها كانت طالعت غيبته،

فبشرت به، فبكت..!

فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور، فازدادت بكاء، ثم قالت: والله

ما أجد للسرور في قلبي مسكنا مع ذكر الآخرة، ولقد ذكرني قدومه يوم القوم على الله،

فمن بين مسرور ومثبور - هالك - ثم غشي عليها.

وهذه الحالات لا تكون إلا في حالة حياة القلوب وصفاء النفوس ونقاء الضمائر

وصفاء البصائر،

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الألباب

* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات

والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل

النار فقد أخزيتته وما للظالمين من أنصار * ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن

آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا

ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم

ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا

وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم

ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن

الثواب﴾ (سورة آل عمران الآيات ١٩١ : ١٩٥)



وقد كانت "حبيبة العذوية" إذا صلت العتمة، قامت على سطح البيت فشدت
عليها درعها وخمارها، وبقيت تذكر ربها قائلة:
إلهي، غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح،
وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك..!
وتبقي تتعبد حتى السحر ثم تقول:
اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني
ليلتى فأهني، أم رددتها على فأعزى..؟
وكانت "بردة" العابدة تدعو بدعاء قريب من هذا فتقول: هدأت العيون، وغارت
النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبك في
قلبي؟! لا تفعل يا حبيباه.

أيما من كلما نودی أجابا
وكلم فى الدجى موسى بلطف
ويا من رد يوسف بعد بعد
ويا من خص أحمد واصطفاه
وقربه وسماه حبيبا
لك الفضل المبين على عطاء
أيما من جل عن كيف وأين
ملك الكائنات بحسن صنع
ومن بجلاله ينشى السحابا
كلاما ثم ألهمه الخطابا
وكان أبوه ينتحب انتحابا
وأعطاه الرسالة والكتابا
وأعتق من شفاعته الرقابا
مننت به وضاعفت الثوابا
وعن ندى وعن ولد ووالد
ولانت من مخافتك الجلامد





وأنت على جميع الخلق شاهد
وحاشا أن تحيط بك المعاهد
ولا كيف تمثله الشواهد
وأنت لكل ما فيها مرآد
ولا مثل وليس له معاضد
وصعب عندنا قطع العوايد
إلا رجائي رحمة الرحمن
في الأمر إلا خفة الميزان
ويحى - إنن - من وقفة الديان
مهما يطل عمرى فإنى فان
من للمسيء المذنب الحيران؟؟

أذنت لها تكون فاستكانت
وكنت بحيث أكون عون
وأنت بحيث أنت وليس أين
أحطت بجملة الأشياء علما
ويا من ماله فى الملك ثان
فقد عودتنا الإحسان لطفنا
حاسبت نفسى لم أجد صالحا
ووزنت أعمالى على فلم أجد
وظلمت نفسى فى فعال كلها
يا أيها الإخوان! إنى راحل
يا رب: إن لم ترض إلا ذا تقى

وهذه "أم عثمان بنت سودة الطفاوى" كانت من العابدات، وكانوا يقولون لها يا راهبة، وفي مرضها الأخير عندما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء باكية تناجي ربها فقالت:

يا نخري ونخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتى وبعد موتى، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري.

قال ولدها عثمان: فلما ماتت كنت آتيةا في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت: يا أماه كيف أنت؟



قالت: أي بني، إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفي برزخ محمود،
نفترش فيه الرياح ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.

فقلت: ألك حاجة؟

قالت: نعم، لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك
يوم الجمعة إذا أقبلت من عند أهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائرا
لك، فأسر بذلك ويسر بذلك من حولي من الأموات..!

وهاهي "شعوانة" العابدة تقول:

من استطاع منكم أن يبكي، فليبك، وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي
لعرفته بما أتى إلى نفسه..! وكانت تشدو بهذين البيتين:

يؤمل دنيا لتبقى له فوافى المنية قبل الأمل

حثيرا يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

وهاهي امرأة تتعثر في صخرة فينقطع ظفرها فتضحك..!

ف قيل لها: سقط ظفرك وتضحكين؟

فقالت: والله إن حلاوة ثوابه، أزالته عن قلبي مرارة وجعه.

ومن هؤلاء النساء اللاتي تعلقت قلوبهن بالأخرة عابدة عاشت في زمن الحسن

البصري يقال لها: منية، وقد رزقها الله ابنة أشد عبادة منها.

فكان الحسن البصري يتعجب من شدة عبادتها وكثرة زهداها، رغم حداثة سنها،

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ آتاه آت فقال له:

أما علمت أن ابنة "منية" العابدة قد نزل بها الموت..؟

فوثب الحسن فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت.

فقال: ما يبكيك..؟

قالت: يا أبا سعيد، التراب يحثي على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي..! يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لها قبراً واسعاً وكفنها بكفن حسن.. والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي، كيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود..؟

فيا لها من كلمات تخرج من قلب محب للقاء الله راجياً فضله ورضاه، فأين نحن منها..؟ وقد ضيعنا الباقية بالفانية وهزمتنا أنفسنا أمام شهواتنا وأقبلنا على الحياة إقبال من لا يخشى الموت وهو أقرب لنا من نفس قادم لتتنفسه.

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| يا نائم الليل متى ترقد | قم يا حبيبي قد دنا الموعد |
| من نام حتى ينقضى ليلته | لم يبلغ المنزل أو يجهد |
| فقل لذوى الأبواب أهل التقى | قنطرة العرض لكم موعد |

وقفه مع النفس

فما آن لنا أن نفيق وما آن لنا أن ننتبه ونتوقف وقفة أخيرة مع أنفسنا، نراجع فيها ما مضى من حياتنا، ونحصي أعمالنا قبل أن تحصي علينا وليقل كل منا لنفسه:

إذا أنا مت الآن فهل سأجد الله راضيا عني..؟

يا لها من لحظة صعبة يقفها الإنسان مع نفسه كيف لا..؟! وكثير منا ما زال لم يستشعر قرب الموت، ولم يدرك أن العمر لحظات معدودة، قد تكون مرت بالفعل وحسابه بعد ثوان.. فالقبر أخطر قضية ينتظرها الإنسان، القبر قضية كيان، وأخطر ما فيه أنه لا بد داخله مهما طال الزمان، ولا بد معروض على الواحد الديان، ففرس الرحيل مسرج، وإلى بوادي القبور المخرج، فأبي مطمئن لم يزعج، فما أضييق ما نحن قادمون عليه، وما أقرب ما نحن نازلون إليه، فماذا نقول لربنا إذا أتى علينا الغد المنتظر..؟

فوانه لو رأينا الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأغلال إلى الجحيم حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسامهم ينادون: يا ويلنا.. يا ثبورنا.. ماذا نزل بنا؟ ماذا حل بنا؟ وماذا يراد منا..؟

وملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم يسوقونهم بمقامع من نار، فمرة يجرونهم على وجوههم، ومرة يسحبونهم على منكبين، ومرة يقادون إلى النار مقرنين، من بين باك دما بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ فزع القلب مبهوت..

وهناك على مد البصر بجنات ربي قد ظفر، قوم أدركوا أن في الغد حساب،
وثواب وعقاب، وأن الدنيا دار عمل، فلم يطيلوا فيها الأمل، ولم يغرم طول الأجل،
فألقوها خلف ظهورهم، وقاموا يبتغون رضى ربهم، فما هم الآن منعمون، وبالجنة
يغذمون، كما قال رب العزة:

﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله
يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتهما وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم
نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكين فيها على الأرائك لا يرون
فيها شمساً ولا زمهيرا * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً * ويطاف
عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قواريرا من فضة قدروها تقديرا *
ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلاً * عينا فيها تسمى سلسبيلاً * ويطوف عليهم
ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا * وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا
كبيرا * عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾

(سورة الإنسان الآيات من ٥ : ٢٢).

بحر المعاصي

والآن ماذا نفعل والموت لا بد آت لا مفر منه..؟، يدخل كل البيوت ولا يستأذن أحد، فهيا بنا لا تتردد.. هيا لكي نحمل ذنوبنا ونتعلق بذلك الخيط الرفيع المتبقي لنا من الأمل، ونلقيها في بحر الرجاء باكين متضرعين نادمين، لعل الله ينظر إلينا بعيني رحمته، فيعفو عنا ويتجاوز عن زلاتنا وخطايانا.. فهو أكرم من أن يردنا خائبين..

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد * سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾

(سورة إبراهيم الآيات من ٤٨ : ٥٢)

وقد أدرك الإمام الشافعي ما تفعله الذنوب من إطفاء نور القلوب، وأن العلم نور من الله، لا يهبه للعصاة فأنشد يقول:

شكوت إلى وكيع سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأوصاني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه لعاصي

فيا ربى.. ماذا نقول.. وقد عصيناك.. ولولا علمنا بعفوك.. ما أتيناك.. أنت

كتبت على نفسك الرحمة.. فلا تنسانا.. فنحن الضعفاء وأنت القوى.. ونحن الأذلاء..

وأنت العلى.. فكيف نعتذر إليك.. وما لنا عذر..

حين تبدى صحائفى ما أتيت
قد نهانى وما أرانى انتهيت
وعليما بكل ما قد سعيت
فاعف عن زلتى وما قد جنيت
وأريتنى طرق الضلالة والهدى
قدرت لى.. إن كان خيرا أوردى
فى الخلق ما أخفيته عنهم سدى
وارحم فإنى قد بسطت لك اليدا
قد جاء معترفا وعاش موحدًا

ما اعتذارى، وأمر ربى عصيت
ما اعتذارى إذا وقفت ذليلا
يا غنيا عن العباد جميعا
ليس لى حجة ولا لى عذر
يا رب أنت أمرتنى ونهيتنى
وعلمت أنى لا أفر من الذى
وسلكت بى ما شئت للشىء الذى
فاقبل بفضلك توبتى لك مخلصا
واصفح عن العبد الذى يا سيدي

الكاتبة الكبرى

لذلك فإن أكبر كارثة تصيب الإنسان هي أن ينظر إلى ذنوبه على أنها صغيرة وأن العمر أمامه طويل لكي يفعل من الحسنات ما يمحو أخطائه.. ذلك موطن الخطر، نعم موطن الخطر هو أن يستصغر الإنسان ذنوبه لذلك فقد صرخ التابعي الجليل "أويس بن عامر" قائلاً: (لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصية)..

ويا لها من صرخة تهز القلوب فمن عصينا..؟ لقد عصينا جبار السماوات والأرض، عصينا ملك الملك والملكوت، الحي الذي لا يموت، من ذلت له الوجوه، وانحنى له الجباه، عصينا منزل القرآن، من لو أنزل قرآنه على جبل لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشيته سبحانه، فأى ذنب بعد هذا يستوجب علينا الندم والاستغفار والبكاء خشيتاً وخجلاً من أن ييرانا ونحن نعصاه مهما صغر الذنب في أعيننا.. ألا تتساقط لحوم وجوهنا خجلاً..! وكيف لا وقد عصينا من لا يغفل ولا ينام عصيناه في أرضه وسماؤه، فأين نهرب منه..؟

ومن فضل رحمته علينا سبحانه وتعالى أنه خلق الرحمة، ليتراحم بها عباده، ولأنه خلقها فقد رضي لنفسه أن يكون أرحم الراحمين..

وأى صفة يتصف بها الخالق أفضل من تلك الصفة..! فيا ربي ما أعظمك.. وما أكرمك.. وما أرحمك.. إن نعمك سابغة علينا فالحمد لك يا رب.. أنت الذي أنشأت الحمد لكي نحمدك على ما أوليته لنا من عطائك الذي لا ينفد.. فهذه رحمتك التي وسعت كل شيء.. فنحن شيء فارحمنا في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين..

دعاء الصابرين

فيا أخي المسلم استعد للقاء الله، ولا تشغلك مفاتن الحياة، واصبر عليها،
فحياتنا ابتلاء واختبار، وثبات وانهييار، وعسر ويسر، وشدة ورخاء، ورضاء
بالقضاء، وصبر وجزع، وأمن وفزع..

فتلك سنة الوجود وحكمة الحي الموجود في خلقه أرادها لنا اختباراً ومحنة،
ليعلم الطائعين من عباده من المفسدين، ويحاسبنا يوم وقفنا بين يديه على ما قدمنا،
ويكافئنا على ما تحملنا في سبيله من صبرٍ على بلائه، فالصبر صمام الأمن ووقاء
النفس من التدهور والانزلاق في مهاوى اليأس وظلام القنوط..

﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

(سورة يوسف الآية ٨٧).

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

(سورة الشورى الآية ٢٨)

﴿قُلْ يَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر الآية ٥٣)

وقال رسول الله ﷺ: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله" رواه مسلم

فلولا عفوك يا رحمن ما سكنت الجنان، فانظر إلينا نظرة واحدة، وأثبتنا في

ديوان أهل الصفا، ونجنا من ديوان أهل الجفا، اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وحسن في

جميع الأحوال أعمالنا، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا، خذ إلى الخيرات بنواصينا،
فمن غيرك يا إلهي ينجينا..؟

فرضاك عنا هو بارقة الأمل في دنيا اليأس، وإشراقة النور في محيط الظلام.
فمهما اشتدت الأمور وتلاحقت الخطوب، وتلاصقت المصائب والأحداث، وصغرت
الدنيا في أعيننا، وضائق صدورنا، فلا يعصمنا إلا الصبر ولا يسندنا إلا الثبات،
وسرعان ما تنجلي الأيام عن فجرٍ جديد وتنحسر موجة اليأس ونصل بالصبر إلى بر
الأمان، لذلك فإننا إذا استمسكنا بالصبر على دنيانا وجعلنا لقاء الله نُصب أعيننا
وأدركنا أن الله قد خلقنا في هذه الدنيا لنعمرها بطاعته ولا نعبد سواه وأن الدنيا ما هي
إلا كدٌ وتعَبٌ وأن الآخرة هي جزاء الصابرين.. وكما سئل الإمام أحمد بن حنبل:

متى يجد العبد طعم الراحة..؟

فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

فما أروع الصبر والصابرين، فهو فضيلة لا تعرفها القلوب الضعيفة الواجفة،
الهلعة الهشة، اليائسة القانطة، ولا تعمر إلا القلوب الكبيرة المؤمنة، القلوب التي
إذا مسها خوف أو أصابتها مصيبة تلوذ بخالقها سبحانه وتلجى الأمر إليه وتلجأ
بالدعاء وتهتف إنا لله وإنا إليه راجعون، وهو تفويض مطلق وتسليم شامل لإرادته
واعتراف كامل بأن الأمر كله إليه فقد أدركت حقيقة الأمر وفلسفة الكون الكبرى أنه
"لا ملجأ من الله إلا إليه" ولا ملاذ من بطشه إلا رجاء رحمته.

﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس
والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه
راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾

(سورة البقرة الآيات ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨)

فإذا ما نزلت بالمرء ضائقة، أو مسه مكروه، أو أصابه شر أو ضر فزع إلى ربه
وتضرع إلى خالقه، ليكشف ما به من غمة ويزيل ما أصابه ويدفع عنه المكروه... ولكن
كيف يدعو خالقه..؟

إذا استطعت أن يسبق دمع الطاعة طلب المغفرة، أن تبتهل خاشعا خاضعا،
تحس بضعفك الإنساني، تطلق عنان توبتك لتبلغ أرجاء السماء تدرك حاجتك إلى
معونة القوي القاهر القادر، تتجه بعواطفك وبكل كيائك إلى ملائكة راجيا داعيا
تائبا مستغفرا سائلا..

هنا وفي تلك اللحظات فقط تتصل بربك ومعبودك الحي القيوم، تتصل بالقوة
الكبرى.. بالنور الأعظم.. بالرحمة الكلية.. بالكريم.. فيمتلئ صدرك بالعزة، فلا عزة
لنا إلا بربنا، وحينما نشعر بعزتنا عزة الإيمان في قلوبنا، سيصغر عندنا كل ما هو
دون خالقنا، فلا معبود غيره، ولا سيد سواه، وينطلق اللسان: الآن الآن يا ربي
أدركت أنه قد فاتني الكثير وأدركت أنه لا بد لي من وقفة بين يديك، يصغر أمامها
الكون كله، لا أهل ساعتها ولا مال ولا ولد، لا جاه ولا سلطان، لا شيء إلا الرجاء
والحياء وجبال الذنوب، لم أعد أحصيها، ودموع كأنهار الأرض تجري، ولا يوقفها



إلا رضاك، فتجاوز عن إساءتي وجهلي، وارحم زلتي بين يديك، ولا تُسلمني لعملي فأهلك، ولكن أسلمني يا ربّي لرحمتك، ولا تعاملني يا إلهي بما أنا أهلُّ له، ولكن عاملني بما أنت أهلُّ له، فأنت حكمت فعدلت فجعلت ميزان عدلك رحمتك، وقلبي بين يديك تقلبه كيفما شئت، فثبته يا إلهي على ما يرضيك ويُنجيني واجعل يا إلهي قبضة قبوري يدي رحمتك، فأنت صاحب العفو والجود والكرم يا أرحم الراحمين.



المراجع والمصادر

- ١) القرآن الكريم
- ٢) الكبائر: للإمام شمس الدين الذهبي.
- ٣) الرقة والبكاء: لشيخ الإسلام ابن قدامة المقدسي.
- ٤) المستطرف في كل أمر مستظرف.
- ٥) الدعاء في القرآن: د. / محمود بن الشريف.
- ٦) العقد الفريد: لابن عبد ربه.
- ٧) حياة الصحابة: للكندهلوي.
- ٨) ١٥٠ موقف لعمر بن الخطاب: إبراهيم الأشقر.
- ٩) صفة الصفة: للجوزي.
- ١٠) هيا بنا نؤمن ساعة: سعيد عبد العظيم.
- ١١) عصر التابعين: عبد المنعم الهاشمي.
- ١٢) طهارة القلوب: للإمام عبد العزيز الديريني.

الفهرس

| | |
|----|-----------------------------|
| ٣ | المقدمة |
| ٥ | الخشية من الله |
| ٨ | القلب الخاشع |
| ١٨ | الغربة الحقيقية |
| ٢٥ | المناجاة |
| ٢٨ | مع الزاهدين |
| ٣٧ | مع البكائين |
| ٤١ | ماذا تقول لربك غدا يا عمر؟! |
| ٤٨ | المرأة العابدة |
| ٥٤ | وقفه مع النفس |
| ٥٦ | بحر المعاصي |
| ٥٨ | الكارثة الكبرى |
| ٥٩ | دعاء الصابرين |
| ٦٣ | المراجع والمصادر |